تمهيد:

مع تطور العلوم وتعقد الحياة في شتى مجالاتها خاصة الإجتماعية منها وتميز الحقب التاريخية والمجتمعية بظواهر فاصلة لمرحلة الإنتقال التاريخي والإجتماعي، ظهرت الحاجة إلى علم جديد يناقش ويدرس كل ما يتعلق بالإنسان من سلوكيات وعلاقات متنوعة منها ما يدفع للتكافل الإجتماعي ومنها ما يدعم الصراع الإجتماعي كثنائية بشرية متلازمة للاختلافات الفردية سواء في الفكر ودرجة الوعي أو الفعل،وهذا ما استدعى ظهور علم الإجتماع الذي ارتبط في بدايته بأقوى علم انبثقت عنه العلوم الإنسانية وهو الفلسفة.

أولا- تعريف علم الإجتماع:

اختلفت المفاهيم العلمية المختصة من طرف الباحثين والعلماء في الحقل السوسيولوجي للتعبير عن الدلالة اللغوية والإصطلاحية لكلمة علم الإجتماع ومن بينها نذكر:

-عرفه سروكين بقوله: "هو ذلك المفهوم الذي يشير إلى جميع المعلومات الخاصة بالتشابه بين مختلف الجماعات الإنسانية وأنماط التفاعل المشترك بين مختلف جوانب الحياة الاجتماعية الإنسانية" [1]

-في تعريف آخر علم الإجتماع هو العلم الذي يدرس الظواهر المجتمعية في ضوء المقاربة العلمية الموضوعية، على أساس أنها موضوعات وأشياء ويعني هذا أن علم الإجتماع يدرس المجتمع دراسة وضعية مختبريه ميدانية بالتوقف عند بعض الظواهر المجتمعية القاهرة أو الملزمة للإنسان بالتحليل والدراسة والتشخيص والوصف فهما وتفسيرا وتأويلا[2].

-يقدم برنارد فيلبس في مؤلفه علم الإجتماع من النظرية إلى التطبيق المنشور عام 1979 تعريفا مؤداه أن علم الإجتماع هو علم دراسة المجتمع[3]

ومع تنوع التعريفات التي وردت في الموروثات النظرية يمكن أن نشير إلى أهم الأفكار التي تعبر عن مفهوم هذا المصطلح :

- الظواهر الإجتماعية وعلاقتها بالنظام الإجتماعي ومختلف العلاقات التي تنشأ باختلاف أشكالها
- السلوك الإنساني والتفاعل الإجتماعي مع الأفراد والجماعات
- الحركة الديناميكية لمختلف التجمعات الصغيرة منها والكبيرة وتأثيراتها على البناء الإجتماعي والوعي الفكري

---

[1]- محمد ياسر الخواجة وحسين الدريني: المعجم الموجز في علم الاجتماع، مصر العربية للنشر والوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ،سنة 2011 ،ص11.

[2]- جميل حمداوي:أسس علم الإجتماع،ط1 ،2015،ص8

[3]- محمود عودة:أسس علم الإجتماع،دار النهضة العربية،بيروت،،ص18

ومما سبق يمكن تعريف علم الإجتماع على أنه علم تفاعل الفرد مع الجماعة التي ينتمي إليها مهما كان حجمها، يهتم بدراسة السلوكات الإنسانية ذات الصفة التبادلية لتنتج حقائق اجتماعية تؤثر في البناء الإجتماعي للمجتمع والوجود الإجتماعي للإنسان، فيبحث في علاقات وتأثيرات الوعي الفردي بمختلف المؤسسات الإجتماعية التي وجدت لخدمة الفرد والمجتمع.

ثانيا–ظروف نشأة علم الإجتماع :

ارتبطت نشأة علم الإجتماع بالتغيرات الفكرية والدينية والسياسية والإقتصادية للمجتمع الأوروبي ليتأثر في بدايته بثلاث ثورات وهي:

1–الثورة الإقتصادية:

يمكن تلخيص أفكار هاته المرحلة في النقاط التالية:

–تحول المجتمع في بنائه ومؤسساته من الزراعة والإعتماد الذاتي على توفير متطلبات الحياة إلى الحاجة إلى الآخر والمؤسسات الكبيرة كالمصانع التي تمركزت في المدن الكبيرة،

–شهدت التركيبة البشرية تجمعا جديدا نحو هاته المناطق التي يمتلك مواردها المادية ومؤسساتها الإنتاجية الطبقة البرجوازية ليساهموا بذلك في سقوط حكم الكنيسة.

–ظهور فلاسفة التنوير الذين قدسوا العقل لأنه الوحيد القادر على فهم وإصلاح المجتمع بجميع مشاكله بالرجوع إلى نموذج نيوتن.

استنادا للإختلافات الفكرية والمجتمعية السابقة ظهرت اتجاهات حددت مراحل تطور علم الإجتماع وهي:

–الإتجاه الثوري أو الراديكالي المتأثر بفلسفة التنوير الذي يتخذ من العقل أساسا للإصلاح والتغيير.

–الاتجاه الليبرالي أساس الثورة فيه التحرر من الدين والتفسيرات الدينية

–الإتجاه المحافظ قاعدته الأساسية تتجسد في إسهامات اوغست كونت وفلسفته الوضعية التي حدد معالمها في اثني عشرة عاما.

–التحول الإقتصادي للمجتمع الأوروبي من الإقطاعي إلى الصناعي وظهور الرأسمالية الصناعية وما رافقها من تغيرات كتحول مركز الإنتاج من القرية إلى المدينة .

– هجرة الأيدي العاملة من الريف إلى المدينة للعمل والعيش بحثا عن سبل للحياة أفضل لتظهر لأول مرة في السوق العملي ما يعرف بالقوى العاملة وعرفت فيما بعد بطبقة البروليتاريا.

–وفرة الأيدي العاملة أدى لظهور مناطق فقيرة في المدينة الأولى التي كانت تشغلها الصفوة والطبقة الغنية اقتصاديا وذات النفوذ السياسي فظهرت مشاكل اجتماعية ومشاكل أخرى في شتى المجالات مما استدعى تدخل أصحاب الفكر الإجتماعي بجميع تياراته للبحث في أسس المجتمع وأصوله وما رافقه من تحديات جراء عملية تغييره.

-ظهور طبقة برجوازية حديثة تسعى للتمركز في النظام الجديد بامتلاك رأس المال والهياكل المادية لتتحكم في قلب النظام الإنتاجي الجديد.

-التفاوت الطبقي الجديد الناتج عن التقسيم الرأسمالي لفئات المجتمع بين من يملك ومن لا يملك خلق توترا اجتماعيا في العلاقات بين طبقة البروليتاريا وطبقة البرجوازية بسبب اختلاف الأهداف وتفاوت القدرات والإمكانات المادية والمعنوية منها.

- ظهور شكل جديد من أشكال الملكية لم يكن معروفا من قبل في النظام الإقطاعي وهو الملكية الرأسمالية أو المالية ونعني به ملكية رأسمال الثابت (المصانع والآلات وغيرها) ورأسمال المتغير(المصرفي والمالي) بعدما كان الشكل البارز للملكية هو ملكية الأرض الزراعية التي يتم توريثها من جيل لآخر .

2-التحولات السياسية:

لقد لعبت فلسفة التنوير دورا كبيرا في ظهور مجتمع جديدا بدل المجتمع القديم بدعم اتجاهات فكرية تقوم على الأسس التالية:

- القدرة العقلية للإنسان في صناعة التاريخ وتطوير المجتمع بما يتناسب واحتياجاته الأساسية.
- الصراع الإنساني ين الفرد والنظم الإجتماعية التي تقف عائقا أمام مصالحه الفردية والتي تهدد تواجده المجتمعي.
- القدرة النقدية للإنسان لكل ما يتفاعل معه من أفكار وسلوكيات واتجاهات لما يملكه من إمكانات عقلية تساعده على صناعة رأي موافق أو رأي عكسي.
- دعم التغيير والتأكيد على الحق في النهوض بالمجتمع من خلال نفي المطلق (الأشياء الثابتة والأزلية) والتأكيد على النسبية في كل ما يتعلق بالدين والنظام الإجتماعي والعلاقات الإجتماعية...الخ.

مما جعل هذه الفلسفة تخضع للنقد من طرف التيار المحافظ الذي يؤكد على نقيض ما أثارته ويمكن أن نلخص بعض هذه الدعاوى فيما يلي:

- المجتمع سابق في وجوده على الأفراد وحياته لا تنتهي بانتهاء الوجود الفردي.
- المجتمع هو الذي يصنع الفرد ككائن اجتماعي وليس العكس وذلك من خلال التنشئة الإجتماعية التي تحول الفرد من مجرد كائن بيولوجي لا يتجاوز المستوى الحيواني إلى كائن إنساني.
- الإنسان ليس كائنا عقلانيا تماما بل أن سلوكه ينطوي على جوانب لا عقلانية أساسية ومن ثم فإنه لا يستطيع أن يعي مصالحه.
- النظم الإجتماعية نظم طبيعية لأنها تستجيب لحاجات إنسانية فطرية عامة وثابتة (كالأسرة والطبقة) وحتى الدين فإنه يستجيب للجوانب الغامضة والعاطفية وغير العقلانية في السلوك الإنساني.

- إن كافة النظم الإجتماعية نظم إيجابية بحكم أنها تؤدي وظائف مباشرة للبقاء الإنساني والإجتماعي، فهي إذن تشكل وسائل تمكن الإنسان من تحقيق ذاته وليس على نحو ما تذهب إليه فلسفة التنوير من أنها تؤدي إلى الإغتراب الإنساني.

-عبر مراحل التطور التي عرفها علم الإجتماع في نشأته أطلق عليه علم وليد الثورات وهذا ما نلاحظه في الجدول التالي:

الثورة	ملامحها الفكرية الثورية
الثورة الصناعية و الحضرية	تحول المجتمع من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي.
الثورة العلمية	اعتماد التطور المعرفي على العلم ومصادره وفروعه بدلا من التفسيرات الدينية
الثورات السياسية الإجتماعية	الثورة الفرنسية التي أسهمت في إحداث تغييرات في البنية الاجتماعية.

المصدر:إعداد الباحثة

ثالثا-الحضارات القديمة وتطور التفكير الإجتماع:

يعد موضوع المجتمع والفرد والعلاقة بينهما وأساليب الحياة الإجتماعية من المواضيع الأساسية التي ناقشتها كل الحضارات وهذا ماسنعرضه في الأفكار التالية:

1-حضارة بلاد الرافدين:

تعد بلاد الرافدين منطقة تاريخية جغرافية تقع حاليا ما بين نهري دجلة و الفرات ، وأشهر حضاراتها هي سومر وأكاد وبابل وآشور من مظاهر الحياة فيها:

-تعد الفلاحة مصدرا للعيش بالنسبة للأفراد.

-تم اختراع الكتابة وحفظ التاريخ في ألواح تضم أخبار الملوك السياسية والإجتماعية

- تعد أول حضارة اعتمدت التوقيت الزمني القمري قسموا السنة إلى 12 شهرا والشهر إلى 04 أسابيع واليوم إلى12 ساعة والساعة إلى 60 دقيقة.

-كان المجتمع تسيطر عليه طبقة الكهنة فهي أغنى طبقة تتخذ من تجارة العبيد مصدرا لزيادة أرباحهم وزيادة نفوذهم ومن العلماء الذين مثلوا هذه الحقبة حمورابي الذي سن قانون للنظام الإجتماعي.

2-الحضارة الرومانية:

من رواد الفكر الإجتماعي في هاته الحضارة سقراط (469 ق م- 399 ق م) وأفلاطون (427 ق م - 347 ق م) و أرسطو(322-384 ق م)

تميز العلماء اليونان عن اليونانيين بالإبتعاد عن التجريد والأحكام المثالية فاهتموا بمعطيات الحياة الإجتماعية وتفاعلاتها الإمبريقية فتميزت حضارتهم بالخصائص التالية:

-التركيز على الطرق السليمة لبناء العلاقات الإجتماعية الإيجابية والمحافظة عليها

-البحث في أسباب المشكلات الإجتماعية التي تواجه الأفراد في مجتمعهم ليركزوا على معالجة الوضع الإجتماعي للأفراد بما يضمن لهم حياة اجتماعية مستقرة في شتى المجالات.

-اهتم الفكر اليوناني بالآثار الإيجابية للتجمعات السكانية في الأماكن الحضرية الكبيرة أين يتم الإتصال والتبادل الحضاري بين اللغات أو اللهجات والطقوس الدينية

-التركيز على هدم كل ما يفرق بين الأفراد والإعتماد على قانون عام وكوني وشامل للبشرية جمعاء مما قضى على الفوارق اللونية والطبقية واللغوية التي تميز الشعوب والناس في الحقوق .[4]

-المطالبة بالمساواة والعدالة الإجتماعية وهذا ما دعت إليه الديانة المسيحية بالدعوة إلى تحرير العبيد وإعطائهم حقوقه الإجتماعية على غرار باقي الفئات الإجتماعية.

3-الحضارة المصرية:

تقوم هاته الحضارة في فكرها الإجتماعي على التأكيد على أهمية نظامين وهما:

أ-النظام الديني:

لقد ارتبطت المفاهيم الأخلاقية بيوم الحساب وهذا ما ورد في كتاب أدب الحكمة ،فالسلوك السوي هو المستمد من قوانين الآلهة "ماعت".

ب-النظام الأسري:

أكدت الحضارة في قيام هذا النظام على أهمية االروابط الأسرية والعادات التي تحكم المجتمع،فللمحافظة على المجتمع لابد من المحافظة على أبعاد الحياة الأسرية .

-الدعوة للتوحيد مكان تعدد الآلهة وهذا في ثورة اخناتون الكاهن المصري فاتجهوا منعبادة الماديات إلى عبادة الروحانيات فبعدما كانوا يعبدون النيل والشمس وبعض الحيوانات انتقلوا إلى تقديس هذه الآلهة بوصفها رمزا لآلهة روحية.[5]

-قدم المصري القديم نظريات سياسية مثل نظرية تقديس الملوك وكيف أن الملك ابن الله أو يمثله على الأرض أو من نسل الآلهة، وهي النظرية التي انتقلت فيما بعد إلى الفكر اليوناني والروماني .وبالنسبة

---

[4] - أحمد غريب السيد: تاريخ الفكر الاجتماعي،دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 2004،،ص187.

[5]- حسن شحاته سعفان: تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعية، دار النهضة العربية، 1965،ص ص 18-19.

للنظام القانوني، كان المواطنون في مصر القديمة طائعين للقانون حيث خشوا العقاب في الحياة الدنيا والآخرة.[6]

4-الحضارة الهندية:

تعتبر الهند خليط من الأجناس بدا من الماغول وصولا للفرس والأفغان فظهرت ديانات وضعية نتيجة هذا التنوع العرقي كالبوذية والهندوسية والبراهما لينعكس هذا على الفكر الإجتماعي وتظهر طبقات مختلفة اجتماعيا بمعتقدات دينية متعددة كطبقة البراهما وتضم رجال الدين وطبقة الكشتارية تشكلت من المحاربين وطبقة الفياز تتألف من المنتجين والفلاحين.

- اختلف الفكر الإجتماعي البوذي عن البراهما حيث لا يعطي الفكر البوذي أهمية كبيرة للنظام الطائفي إذ يعتقد بوذا أنه ليس من الضروري تعميق التفاوت الإجتماعي بين الطبقات سواء تم ذلك من خلال الميلاد أو من خلال الثروة التي يكونها الناس خلال حياتهم[7] .

- تأكيدا لما سبق ترك بوذا وصايا عشر لتهذيب الذات وتنظيم العلاقات الإجتماعية وهي:لا تقتل ،لا تسرق، احرص على الطهارة وتجنب النجاسة،لا تكذب بل قل الحق، لا تبتدع أخبارا سيئة ولا تنطق الكذب، لا تقسم قسماً كاذبا، لا تضيع وقتك في النميمة بل تحدث فيما هو مفيد أو الزم الصمت، لا تحقد ولا تحسد ولا تستكثر على الآخرين، احرص على أن يكون قلبك نظيفاً خالياً من الحقد ولو كان ذلك في مواجهة الأعداء و أخيرا حرر عقلك من الجهل والقلق.

5-الحضارة الصينية:

اعتمد الفكر الصيني في قيامه على مبادئ الكونفوشسية والتاوية والكونفوشسية الجديدة لتصبح مصدرا لمختلف القوانين الصينية ومن مبادئها في بنا الفكر الإجتماعي:

-التأكيد على عظمة الفرد داخل مجتمعه

-تعتمد الحضارة الصينية على ثلاثية الدين والسياسة والأخلاق فيبنا المجتمع

-التغذية الروحية بفضائل السمات الأخلاقية الإيجابية بحسب قدراتها والهدف هو الوصول إلى مستوى أسمى للوجود الإنساني.

- التأكيد على الفضائل العائلية وخاصة على مفهوم حب الأبناء للآباء الذي يشكل حجر الزاوية في الأخلاق الصينية، والأسرة بناء اجتماعي تتشكل فيه شخصية الطفل الأخلاقية والروحية[8].

-قسم مانشيوس المجتمع إلى طبقتين لا تقل إحداهما عن الأخرى في الأهمية وهما:

- ✓ طبقة العلماء والمتعلمين الذين يسخرون ذكاءهم لخدمة المجتمع من حقها أن تسود وتحكم لأنها أعلم من رجال الطبقة الثانية بفن الحكم وشئون الإدارة ومستلزمات السلطان

---

[6]- نفس المرجع: ص ص 20-21.

[7] - Becker H, Barnes H: **Social Thought from Lore to Science** -Washington: Haven Press, 1952, vol. I, chap. 3.

[8]- مصطفى الخشاب: علم الإجتماع ومدارسه،الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1966،ص 63.

✓ طبقة الكادحين العاملين من زراع وصناع وتجار وهم الذين يقومون بالإنتاج القومي.

مهمتها أن توفر لأفراد الطبقة الأولى الحاجات الضرورية لأن هؤلاء الذين يعملون بعقولهم ويضعون مواهبهم في خدمة المجتمع ليس عندهم الوقت الكافي للتخصص في أعمال التجارة والزراعة والصناعة.

6-الحضارة الإسلامية:

استلهمت قواعد التفكير الإجتماعي فيها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة،كرمت الإنسان كعقل وكروح وكجسد واحترام حقوقه وتحريره من الأساطير والإستبداد.[9]

-تؤكد على التوحيد الإلهي القائم على ثلاث الدين الإسلامي والله وحده لا شريك له ولا نبي إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

-لا توجد واسطة بين الإنسان وربه مثل باقي الحضارات التي تدعم فكرة الرهبانية

من أشهر الرواد إسهامات الفرابي الفرابي من مؤلفاته السياسة المدنية، وكتاب أهل المدينة الفاضلة مثالا طيبا لازدهار الفكر الإجتماعي الإسلامي

- المنهج الإسلامي يمتاز عن غيره بالرؤى الشاملة في النظرة للإنسان والمجتمع.

يمكن تلخيص أهم أهداف علم الاجتماع في الحضارة الإسلامية فيما يأتي:

1 - صياغة علم الاجتماع نفسه في ظل مبدأ الإيمان بالله تعالى، وقياس مدى اقتراب المجتمعات الإسلامية أو بعدها عن الإسلام.

2 - علم الاجتماع في صورته الإسلامية ليس علماً اجتماعياً غربياً مكرراً، ولكنه يهدف إلى تقديم رؤى مغايرة للتصورات والنظريات الغربية حول المجتمع.

3 - الهدف الأصيل لعلم الاجتماع الإسلامي، أنهلا يهتم بمصالح دولة أو طبقة أو حزب أو قبيلة، لأن العنصر الفاعل والمبتغى هو التوحيد والوحدة، مع إبراز عوامل النهضة والعدل، ونبذ كل أشكال التحيز والتطرف والإرهاب طبقاً للمبادئ الإسلامية.

4 - إظهار ما في التراث الإسلامي من سنن الاجتماع وقواعد العمران والمبادئ والظواهر، ووضع الخطط المستقبلية للمجتمعات الإسلامية في حدود مبادئ الإسلام.

5 - توضيح المنهج العلمي الإسلامي الذي يشرع لقواعد ونظم الاجتماع الإنساني، وتجلية دوره في إنشاء العديد من العلوم الحديثة.

6 - إحياء التراث الفكري الإسلامي، والتأكيد على الدور الفاعلين الإسلامي كأحد أدوات الضبط الاجتماعي الرئيسة في المجتمع.

7 - التصدي للقضايا المعاصرة، من خلال منهجية علمية إسلامية رصينة.

8 - أن يكون للطفل نصيب كبير من قضايا الوطن والأخلاق والعلم.

---

[9] - http://alhadara.3arabiyate.net/t12-topic، تاريخ الزيارة 9-11-2017.

9 - تبني ودعم مشروع حضاري تربوي تعليمي مجتمعي يهدف لنشر ثقافة الحوار والاختلاف، وقبول الآخر، والمسئولية الاجتماعية، وتدعيم الوطنية، وتحصين الشباب من مظاهر الأمية والتسرب الدراسي والفراغ، والوقوف بقوة أمامأسباب ومظاهر الانحراف والتطرف والإرهاب.

10 -أن الأهداف السامية للفلسفة الفكرية الإسلامية الأصيلة لا بد أن تكتشف في مصادرها الحقيقية النابعة من الأصول الإسلامية وتطور الفكر الإسلامي السليم لا في ما أنتجته الثقافات الدخيلة[10].

[10]– مصطفى عبد الرازق: تمهيد في تاريخ الفلسفة، مكتبة الثقافة،2007، ص145.